القول العلمي
في
الإعجاز العلمي

رشيد السراي

القول العلمي

في

الإعجاز العلمي

رشيد السراي

إصدار إلكتروني

آذار ٢٠٢١

الفهرست

مقدمة عن الإعجاز العلمي[1]

الإعجاز العلمي من الأمور التي كثُر فيها الخلاف والاختلاف وذهب فيها الناس مذاهب شتى، فبين مبالغٍ من جهة وناقدٍ مؤدلج من جهة أخرى ونتيجة لذلك ضاعت الكثير من أوجه الحقيقة فيه .

نبدأ نتيجة الخلط- وهي البداية الصحيح- بتعريف الإعجاز العلمي على وجهٍ يقلل من فرص الاشتباه.

وللحصول على تعريف دقيق لا بد من التعرف على شقي المصطلح وهما: الإعجاز، والعلمي.

وبالنسبة للأول منهما أي الإعجاز فنقول:

الإعجاز لغة مشتق من العجز وهذا من الواضحات ومنه تشتق كلمة معجزة. أما باصطلاح أهل الكلام فالمعجزة أو الإعجاز "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة"[2].

وهناك عدة تعاريف أوردها كتاب (الإعجاز بين النظرية والتطبيق) لمحمود الجياشي علي سبيل المثال فيمكن مراجعته بهذا الخصوص، ولكن هذا هو التعريف المشهور ونكتفي به في هذه المرحلة.

وهناك تعريف فلسفي أورده صاحب الميزان لعل من المناسب ذكره هنا حيث قال عن المعجزة إنها : "تحقّق الأمر الخارق للعادة الدالّ على تصرّف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادّة لا بمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل""[3].

---

١ - نشرت كسلسلة مقالات سنة ٢٠١٤.

٢ - محاضرات في الإلهيات لجعفر السبحاني ص٢٥٨.

والهدف من إحداث المعجزة هو الهداية لتكون المعجزة دليل على صدق مدعي النبوة فتكون حافزاً على تصديق الناس به.

تنوعت المعجزات حسب ظروف نبوة كل نبي أو رسالته فما الذي ينبغي أن يميز معجزة خاتم الانبياء؟

معجزات الانبياء أغلبها حسية وهي حجة على من شاهدها أو سمعها مباشرة أو بوساطة موثوقة فهل يمكن الركون إلى معجزة حسية فقط لإثبات نبوة النبي الخاتم صاحب الرسالة الخالدة؟

وفقاً لمصادرنا كانت هناك للنبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم معجزات حسية ولكنها حجة على من شهدها ومن يثق بنقله-أي نقل من شهدها- فقط. ما نريد الوصول إليه من هذا الكلام إن الرسالة الخاتمة الخالدة يجب أن تكون المعجزة المرتبطة بها خاتمة وخالدة، فتكون حجة على من شهد النبوة الخاتمة وعلى من جاء بعدها.

لذا فلا خلاف بين المسلمين على إن القرآن الكريم معجزة خالدة، ولكن الخلاف في أوجه ذلك الإعجاز، هل هي خصوص الإعجاز البلاغي والإخبار بقصص الأمم السابقة وبعض المغيبات أم تتعداه إلى غيره؟

وكذلك الأمر بالنسبة لروايات الرسول وأهل بيته الكرام صلوات الله عليهم.

وسنتحدث عن ذلك لاحقاً بعد أن نتعرف على الشق الثاني من المصطلح ونقصد كلمة "العلمي" فنقول:

العلم لغة أمرٌ واضحٌ أيضاً ولكن تعريفه الاصطلاحي أُختلف فيه كثيراً فبين قائل بأن العلم الحقيقي هو العلم المنحصر بالعلم التجريبي وما عداه علم زائف وبين من

---

[3] - الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي ج١ ص٧٥.

يقول خلاف ذلك، عموماً لا وجه لما يروج له البعض بأن الفكر الغربي حالياً لا يعترف بغير العلم التجريبي.

لذا ينبغي أن لا يقصد بالعلمي هنا في كلمة "الإعجاز العلمي" خصوص العلم التجريبي فقط، وأحد تعاريف العلم إنه "إدراك الأشياء على حقائقها."

فيكون تعريف الإعجاز العلمي وفقاً لما تقدم هو:

"إخبار القرآن الكريم أو النبي أو أهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) تصريحاً أو تلميحاً بحقيقة علمية لا تناسب إمكانيات ومعارف عصر نزول النص أو صدوره".

الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي:

التفسير العلمي: "وهو محاولة تفسير بعض آيات القرآن الكريم أو روايات الرسول وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) وفقاً للمعطيات العلمية للعصر الحاضر."

وبذلك يتضح الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي وكثيراً ما يتم الخلط بينهما.

الآراء في الإعجاز العلمي قبولاً ورفضاً

تعددت الآراء بخصوص الموقف من الإعجاز العلمي قبولاً ورفضاً، ويمكن تلخيص تلك الآراء بما يلي ونبدأ من أكثرها تطرفاً في الرفض:

١-القول بوجود عدم تطابق بين القرآن الكريم والروايات في المجال العلمي والآراء العلمية الرصينة:

وهذا الرأي يتبناه كل دعاة الإلحاد وبعض العلمانيين، ونجده في بعض الكتابات المسيحية التي تنتقد الإسلام والقرآن، كما نجده عند بعض المسلمين ممن يرون ذلك ولا يرون فيه منقصة على الدين باعتبار إن ما تم ذكره من آراء علمية في القرآن رأي يناسب فهم عصره أو باعتبارات أخرى، وكما ونجده عند بعض المسلمين في خصوص الروايات فقط باعتبار تمسكهم بما ينسب لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بمضمون: "أنتم أعرف بدنياكم"!

٢-القول برفض وجود إعجاز علمي في القرآن الكريم:

وأصحاب هذا الرأي منهم من قال إن القرآن كتاب هداية فقط وليس كتاب علوم لنجد فيه معلومات ومعاجز علمية، ومنهم من قال إنه حتى على فرض وجود تلك المعلومات فإنه لا يصح نسبتها للإعجاز لأن عنصر التحدي -وتحدي المعاصرين بالذات- مفقود باعتبار عدم إمكانية معرفتها من المعاصرين.
علماً إنه كثيراً ما يجري الخلط بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي في تقصي آراء أصحاب هذا الموقف مع عدم توقع قبول الإعجاز العلمي ممن يرفض التفسير العلمي.

٣-القول بوجود الإعجاز العلمي والمبالغة في مصاديقه:

وهذا هو الرأي السائد حالياً وله رواد كثر، فنسمع بين الحين والآخر خبر عن إعجاز علمي جديد سواءً في القرآن الكريم أو السنة من خلال ما أكتشفه العالم الفلاني أو الفريق الفلاني أو الجامعة الفلانية أو أو، وعندما تبحث عن هذه العناوين لا تجد لها وجود أو تجد في أحسن الأحوال إن الكلام تم نقله بطريقة خاطئة!

وأهم ما يميز أصحاب هذا الرأي:

أ-الظهور الإعلامي المكثف.
ب-نقل موارد الإعجاز المفتعلة بطريقة ملفتة للنظر وجذابة.
ج-تعمية مصادر التحقيق فلا أسماء واضحة ولا مصادر واضحة ولا وجود لأدلة واقعية.
د-تغيير صورة القصة بين نقل وآخر، والتطوير في صياغتها في بعض الأحيان.
هـ-التكلف في لي عنق النصوص لتكون ملائمة للصورة المتخيلة من قبلهم للإعجاز، وتبني تأويلات غريبة لأجل ذلك.

وأصحاب هذا الرأي ساهموا كثيراً-بقصد سيء أو بدونه- في تقديم موارد جاهزة لنقد الدين الإسلامي وكانت آراءهم مادة دسمة لمن يريد الانتقاص من الدين والسخرية من الآراء الدينية.

٤-القول بوجود الإعجاز العلمي وفق ضوابط وأسس:

وهو ما نتبناه من رأي، وسنبين تفاصيله بعد أن نتناول بالنقد الآراء الثلاث السابقة.

مناقشة القول بوجود الاختلاف بين القرآن الكريم والروايات في المجال العلمي والآراء العلمية الرصينة

قلنا فيما سبق إن:

القول بوجود عدم تطابق بين القرآن الكريم والروايات في المجال العلمي والآراء العلمية الرصينة، هو رأي يتبناه كل دعاة الإلحاد وبعض العلمانيين، ونجده في بعض الكتابات المسيحية التي تنتقد الإسلام والقرآن، كما نجده عند بعض المسلمين ممن يرون ذلك ولا يرون فيه منقصة على الدين باعتبار إن ما تم ذكره من آراء علمية في القرآن رأي يناسب فهم عصره أو باعتبارات أخرى، وكما ونجده عند بعض المسلمين في خصوص الروايات فقط باعتبار تمسكهم بما ينسب لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بمضمون "أنتم أعرف بدنياكم!"

فيكون دعاة هذا الرأي على أصنافٍ أربعة وهم:

أ-الملحدون وبعض العلمانيين:

يطرح الملحدون هذا الرأي -ويشاركهم فيه بعض العلمانيين كما قلنا- بقوة كمنفذ للتشكيك في جدوى الاعتقاد بوجود الله أصلاً أو في صحة النص الديني (قرآن أو روايات)، ويذكرون أمثلة لتناقضات ـوفقاً لزعمهم- بين الآراء العلمية والنصوص القرآنية أو الروائية!

ومن خلال ما يطرحونه من أمثلة على هذه التناقضات يمكن أن نفهم غاياتهم بوضوح والأخطاء التي يقعون فيها وهي-أي الأخطاء:-

١-الخلط بين الآراء العلمية المثبتة وبين النظريات العلمية التي لازالت محل جدل، فالنظريات العلمية هي آراء علمية في طور الاختبار وعادة ما يتم التعديل عليها أو التخلي عنها، أما الآراء العلمية المثبتة فلم نجد نص قرآني يطرح ما يناقضها وإن وجدت رواية تطرح ذلك فيمكن رفضها ما لم يكن هناك منفذ للتأويل أو الجمع أو التعارض.

٢-الخلط بين النص القرآني أو الروائي وتفسير، فتفسير النص القرآني أو الروائي هو رأي شخصي للمفسر إلا في حالات التفسير الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام وفقاً للرؤية الشيعية، فمن الطبيعي احتمال إيجاد تناقض بين هذا التفسير والآراء العلمية المثبتة.

٣-عدم معرفة معايير تقييم النص الروائي، فمن غير المعقول التمسك برواية غير مقبولة سنداً أو متناً أو كلاهما واعتبارها مورداً للتناقض.

٤-النظر للقرآن ككتاب علمي ينتظر منه أن يطرح الرأي العلمي بنفس اللغة العلمية الحالية، والحال إنه يتم طرح الآراء العلمية في القرآن الكريم باللغة في زمن صدوره.

ولهؤلاء نقول هاتوا مثالاً واحداً لتناقض بين نص قرآني ورأي علمي مثبت نسلم لكم وبخلافه-وهو الواقع- فادعاءاتكم لا قيمة لها.

ب-بعض الكتاب المسيحيين:

وينطبق عليهم ما ذكرناه بخصوص الملحدين ونضيف:

١-إن السعي لإثبات التناقض المزعوم يقع في مصلحة الملحدين لا في مصلحة الدين.

٢-ينبغي أن يشغلكم التناقض الصارخ بين نصوص كتبكم المقدسة خاصة التوراة (العهد القديم) والآراء العلمية المثبتة بدل الانشغال بتناقضات مزعومة .

ج-بعض المسلمين ممن يرى إن الآراء العلمية في القرآن والروايات تناسب عصرها:

ولهؤلاء نقول إن خاتمية النبوة وخلود الرسالة المحمدية تنقض ما تقولون!

وهذا الانهزام أمام افتراض التناقض غير المثبت لا داعي له، فالقرآن الكريم كتب بلغة تناسب عصره نعم ولكنه لم يجاري الآراء على خطئها بل هو يتضمن الآراء الصحيحة فقط في المجال العلمي وفي غيره ولو جازت مجاراة القرآن لعلوم عصره في طرحه في المجال العلمي لجازت مجاراته لعصره في كل شيء ومنها القول بالشرك والقبول بكل الأخطاء الموجودة لمناسبتها لعصرها وهذا ينقض الغرض الذي من أجله بُعث النبي (صلى الله عليه وآله).

د-بعض المسلمين ممن يرى عدم البأس بوجود التناقض في الروايات فقط عملاً بمضمون رواية "أنتم أعرف بدنياكم":

العقل وآراء أغلب العلماء هي مع القول بعصمة النبي صلى الله عليه وآله، في التبليغ وغيره وقبل البعثة وبعدها، فلا فرق في البين بين ما يصدر منه عن حال الآخرة وما يصدر منه عن حال الدنيا لأنه متعلق لغرض الهداية (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)(النجم: الآية٣-٤).

ثم لو سلمنا بصحة الفصل بين (دنياكم وأخراكم) فكيف يمكن الفصل من ناحية المتلقي بينهما وكيف يميز؟

ثم إن الرواية التي وردت بصيغ مختلفة جاء في بعضها عبارة " أنتم أعلم بأمر دنياكم " محل نقاش في سندها، إذ لم ترد إلا في كتب العامة وقد ضعفها كثيرون، أما متناً فالمؤاخذات عليها كثيرة ولا يمكن القبول بها والتأسيس عليها.

مناقشة القول برفض وجود إعجاز علمي في القرآن الكريم

بحسب ما ذكرنا فيما سبق فأن أصحاب هذا الرأي منهم من قال إن القرآن كتاب هداية فقط وليس كتاب علوم لنجد فيه معلومات ومعاجز علمية، ومنهم من قال إنه حتى على فرض وجود تلك المعلومات فإنه لا يصح نسبتها للإعجاز لأن عنصر التحدي -وتحدي المعاصرين بالذات- مفقود باعتبار عدم إمكانية معرفتها من المعاصرين.

وقلنا إنه كثيراً ما يجري الخلط بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي في تقصي آراء أصحاب هذا الموقف مع عدم توقع قبول الإعجاز العلمي ممن يرفض التفسير العلمي.

المناقشة:

قلنا سابقاً في التمييز بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي ما مضمونه:

الإعجاز العلمي:

"إخبار القرآن الكريم أو النبي أو أهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) تصريحاً أو تلميحاً بحقيقة علمية لا تناسب إمكانيات ومعارف عصر نزول النص أو صدوره."

التفسير العلمي:

"وهو محاولة تفسير بعض آيات القرآن الكريم أو روايات الرسول وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) وفقاً للمعطيات العلمية للعصر الحاضر."

وبذلك يتضح الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي وكثيراً ما يتم الخلط بينهما.

وهنا ينقسم أصحاب هذا الرأي –وهم من المسلمين- إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: تقول بعدم وجود معلومات ومعاجز علمية في القرآن الكريم لأنه كتاب هداية لا كتاب فيزياء أو كيمياء أو غير ذلك.

المجموعة الثانية: تقول بأنه على فرض وجود معلومات علمية استباقية فإن لا يصح نسبتها للإعجاز لأن عنصر التحدي مفقود باعتبار عدم المعرفة وعدم إدراك المعاصرين لذلك.

مناقشة المجموعة الأولى:

لا شك إن القرآن الكريم كتاب هداية وليس كتاب دراسي لأي علمٍ بحدِ ذاته، ولكن هل يعني ذلك استحالة أو عدم وجود معلومات وإعجاز علمي فيه؟!

لا يتناقض كون القرآن الكريم كتاب هداية مع ذلك، ولا مانع عقلاً ولا شرعاً من وجودها، بل قد يجب ذلك إذا تعلق الأمر بوضوح بالهدف القرآني أي الهداية، هذا من جانب ، ومن جانبٍ آخر فإن وجود معلومات علمية مما لا يمكن نكرانه في القرآن الكريم، ويمكن إثبات وجود إعجاز علمي في بعض الآيات على الأقل فكيف يصح القول حينها بعدم إمكانية ذلك وأدل دليلٍ على إمكان الشيء وجوده؟!

مناقشة المجموعة الثانية:

إن القرآن الكريم لم ينزل لخصوص معاصريه فقط فالقول بعدم وجود عنصر التحدي للمعاصرين بخصوص الإعجاز العلمي باعتبار عدم إدراكهم لذلك قول غريب، فالقرآن الكريم كتاب سماوي لرسالة خالدة، لذا فنعصر التحدي غير مفقود.

ثم إنه الإعجاز العلمي يختلف عن غيره فهو ليس مجرد تحدي بشأن عمل معين أو إخبار بمغيب بل هو تحدي علمي لا يدرك إلا من قبل المعاصرين للرأي العلمي البشري المتطابق معه في الغالب، وهو بهذا يشبه الإعجاز العلمي في الإخبار بالأمور المستقبلية ولتوضيح الصورة نضرب مثال على ذلك.

في قوله تعالى (غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)) (الآية ٢-٤ سورة الروم).

وفيها بإجماع المفسرين -أي الآيات الكريمة- تنبؤ بحدث مستقبلي سيحدث بعد بضع سنين، وقد حدث فعلاً، فسؤالنا هو أين عنصر التحدي بالنسبة لمن عاصر نزول النص ولم يشهد-لوفاة أو لغيره- هذا الحدث المستقبلي؟!

إذن يتضح من هذا المثال إن التحدي في الإعجاز ليس منحصراً بالمعاصر بل هو ممتد إلى غيره، بل إن هذا الأمر في الإعجاز العلمي بالذات يعد مزية لا مورد تشكيك.

من مناقشة رأي المجموعتين يتضح عدم صحة هذا الرأي.

مناقشة القول بوجود الإعجاز العلمي والمبالغة في مصاديقه

ذكرنا سابقاً:

بأن هذا هو الرأي السائد حالياً وله رواد كثر، فنسمع بين الحين والآخر خبر عن إعجاز علمي جديد سواء في القرآن الكريم أو السنة من خلال ما اكتشفه العالم الفلاني أو الفريق الفلاني أو الجامعة الفلانية أو أو، وعندما تبحث عن هذه العناوين لا تجد لها وجود أو تجد في أحسن الأحوال إن الكلام تم نقله بطريقة خاطئة!

وذكرنا إن أهم ما يميز أصحاب هذا الرأي:

أ-الظهور الإعلامي المكثف.

ب-نقل موارد الإعجاز المفتعلة بطريقة ملفتة للنظر وجذابة.

ج-تعمية مصادر التحقيق فلا أسماء واضحة ولا مصادر واضحة ولا وجود لأدلة واقعية.

د-تغيير صورة القصة بين نقل وآخر، والتطوير في صياغتها في بعض الأحيان.

هـ-التكلف في لي عنق النصوص لتكون ملائمة للصورة المتخيلة من قبلهم للإعجاز، وتبني تأويلات غريبة لأجل ذلك.

وأصحاب هذا الرأي ساهموا كثيراً-بقصد سيء أو بدونه- في تقديم موارد جاهزة لنقد الدين الإسلامي، وكانت آراءهم مادة دسمة لمن يريد الانتقاص من الدين والسخرية من الآراء الدينية.

ولإعطاء صورة واضحة عن أصحاب هذا الاتجاه سأخذ مثال سبق وتكملت عنه في مقال سابق لي بعنوان " تزوير الأخبار والنصوص العلمية لمصلحة من؟ ح٢ ساتوشي كانازاوا وكنغر الدمرداش" ويهمني من هذا المقال حالياً الشق الثاني منه أي "كنغر الدمرداش" فما هو كنغر الدمرداش؟ ومن هو الدمرداش أصلاً؟

نتعرف على الدمرداش أولاً ثم نتعرف على كنغره!

وفقاً لموسوعة ويكيبيديا[٤] فصبري الدمرداش هو عالم ومؤلف وأستاذ جامعي مصري، يعمل بكلية التربية متخصصاً بطرق تدريس العلوم الطبيعية بجامعة الكويت، له العديد من المؤلفات يصلها عددها لـ(٤٢ مؤلف) أغلبها تتحدث عن الإعجاز العلمي فهو من المؤلفين في هذا المجال.

كما إنه قدم عدد من البرامج أغلبها في مجال الإعجاز العلمي.

ما قصة كنغره؟

في محاضرة لصبري الدمرداش في العلوم في جامعة الكويت وعنوان المحاضرة على اليوتيوب "لقطات إيمانية"[٥].

في حديث له عن الآية القرآنية (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ)(الأنبياء: ٣٠) ، قال في الدقيقة الثانية تقريباً من المقطع ما مضمونه:

إن بعض المستشرقين اكتشفوا وجود حيوان في الصحراء لا يشرب الماء واذا اجبر على شرب الماء يموت! وطعنوا من خلال ذلك في الآية القرآنية، فقام بعض المسلمين

---

٤ - http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B5%D8%A8%D8%B1%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%85%D8%B1%D8%AF%D8%A7%D8%B4

٥ - https://youtu.be/V37M-wHfGCg

بتشريح الحيوان ووجدوا بداخله مصنع لصنع الماء حيث يأكل هذا الحيوان حبوب جافة يستخرج منها الهيدروجين ثم يأخذ الاوكسجين من الهواء ويصنع منهما الماء ويشربه!

قصة طريفة ولكن، عن أي حيوانٍ يتحدث؟!

ومن هم المستشرقين الذين اكتشفوه واشكلوا على الآية؟!

ومتى حدث ذلك؟!

ومن هم المسلمين الذي قاموا بحل اللغز؟!

وما هو مصدر هذا الخبر؟!

كلامه خالٍ من أي إجابة عن كل هذه الأمور!

لم تقف الأمور عند هذا الحد فقد تم بعد ذلك نقل المعلومة بدون تروي، وقام البعض بعملية استنتاج ليكشف عن إن هذا الحيوان هو الكنغر!

وهذه المعلومة –أي كون الكنغر الحيوان الوحيد الذي لا يشرب الماء–انتقلت الى الفضائيات والمسابقات العلمية دون تدقيق في مضمونها!

وقام آخرون بتصحيح المعلومة، وقالوا بأن المقصود ليس الكنغر بل هو "فأر الكنغر" أو "جرذ الكنغر!"

فما حقيقة هذا الموضوع؟

وما اسباب اختراعه؟

وهل فعلاً الموضوع يصلح إن صح للإشكال على الآية القرآنية أصلاً؟

نجيب عن كل ذلك بالنقاط التالية:

١–قلنا إن أصحاب هذا الرأي الذي نناقشه يقولون بوجود الإعجاز العلمي ولكنهم يبالغون في مصاديقه ولهذا الرأي مدرسة من أشهر روادها المصري زغلول

النجار وهيئة الاعجاز العلمي السعودية وآخرين، وهذه المدرسة تنتقي بعض الاخبار العلمية وتحاول ليّ النصوص الدينية لتنسجم مع هذه الاخبار وصبري الدمرداش احد رواد هذه المدرسة.

٢-إن الآية القرآنية "وجعلنا من الماء كل شيء حي" لا تتحدث عن موضوع شرب الماء فلو وجدنا ألف نوع من الحيوانات لا يشرب الماء لا يمكننا أن نُشكل على الآية القرآنية، لأنها ببساطة ليست "وجعلنا كل حيوان يشرب الماء!"

وانما هي تشير-وفقاً للمفسرين- إلى خلق كل شيء حي من الماء، بقرينة قوله تعالى في آية أخرى "والله خلق كل دابة من ماء" فيبدو إن الدمرداش لم يستوعب مضمون الآية أصلاً، واقترح نقطة ضعف فيها واخترع قصة لسد نقطة الضعف تلك!

فالإشكال وهمي من البداية لذا لن تجده في أي كتاب أو مصدر من كتب المستشرقين أو غيرهم لأنهم كما يبدو أذكى بكثير من جماعة الدمرداش!

٣-ولو قبلنا بهذا التفسير "أي شرب الماء" لأمكننا ايجاد آلاف النماذج التي لا ينطبق عليها تفسير الآية، فهل شاهد أحدكم بكتيريا مثلاً تشرب الماء!

المعروف إن الكائنات الحية تحصل على حاجتها من الماء بطرق مختلفة أحدها هو الشرب المباشر، كما انها تختلف في درجة تحملها للبقاء بدون ماء.

٤-الكنغر حيوان يشرب الماء حاله حال باقي الحيوانات التي من جنسه، وهو يعيش في غابات استراليا لا في صحرائها، أما مقولة إنه يموت اذا شرب الماء فهذه معلومة مضحكة ولا تستحق الرد. وبإمكان القارئ ان يكتب في محرك البحث غوغل (الصور) مثلاً كلمة "كنغر يشرب ماء" ليرى أمامه عشرات الصور لكنغر يشرب الماء ولا يموت!

٥-جرذ الكنغر أو فأر الكنغر أو الكنغر الجرذ "kangaroo rat " حيوان قارض، يعيش في المناطق الصحراوية في أمريكا الشمالية لديه رأس كبير، وأطرافه الأمامية قصيرة بينما أطرافه الخلفية طويلة، وطوله يتراوح بين ١٠ و ١٦ سم ويمكن أن يقفز إلى ١.٨ متر (٦ قدم) في قفزة واحدة. وسبب تسميته كما يبدو شكل اطرافه الخلفية وقفزاته التي تشبه قفزات الكنغر. هذا الحيوان يعيش في ظروف صحراوية قاسية يكاد ينعدم فيها الماء لذا فانه يعمد الى آليات غير مألوفة للحصول على الماء من عدة طرق منها عن طريق الهواء ومنها عن طريق الحبوب وجذور النباتات التي يخزنها تحت الارض قبل أكلها لتصبح رطبة. كما إنه يتحمل البقاء بدون ماء لفترات طويلة تصل لسنوات، لأنه فضلاً عن حصوله على الماء بطرق مختلفة فهو أيضاً لديه آليات عديدة لتقليل استهلاك الماء الى أقل حدٍ ممكن ومنع خسارة أي مقدار منه مهما كان بسيطاً، وذلك من خلال العيش في جحور تحت الارض وعدم الظهور منها إلا ليلاً ومن خلال حجم كليته الكبير والتي تجعله ينتج بول أكثر تركيز وفيه أقل كمية ممكنة من الماء.

كما إن لديه نظام تبريد في الممرات الأنفية يقلل من فقدان الرطوبة. ودرجة حرارة جسمه تتجاوز عادة درجة حرارة بيئته، وهذا أيضاً يقلل من الحاجة إلى التبريد التبخيري (التعرق) فيقل فقدان الماء بشكل كبير. ولا صحة للقول بأنه يموت اذا شرب الماء![٦]

هذا نموذج أردنا من خلال توضيح فكرة المبالغة بالمصاديق، وأمثلة ذلك كثيرة. فما هكذا

---

٦ - ولمعرفة تفاصيل أكثر عنه يمكن مراجعة الروابط التالية: http://www.bio.davidson.edu/Courses/anphys/1999/Chisholm/conclusions.htm

وهذا رابط المعلومات عنه في موسوعة ويكيبيديا الانكليزية مع ملاحظة إن ما ورد عنه في صفحة ويكيبيديا النسخة العربية غير صحيح وهو مأخوذ بالكامل من كلام الدمرداش. http://en.wikipedia.org/wiki/Kangaroo_rat

يكون الطرح العلمي وينبغي أخذ المعلومة العلمية من مصادرها الصحيحة أولاً ، وثانياً لا حاجة للي عنق النص وتطويعه لينسجم مع معلومة علمية.

علماً إن هذا الرأي هو مورد أغلب النقد الموجه من الآخرين (ملحدين، علمانيين، مسيحيين) لموضوع الإعجاز العلمي.

القول بوجود الإعجاز العلمي وفق ضوابط وأسس

تحدثنا فيما سبق عن الإعجاز العلمي تعريفاً، وناقشنا أشهر الآراء المطروحة بشأنه، وهنا نصل لخاتمة الحديث من خلال طرح الرأي الذي نتبناه ونراه هو الأصوب في التعامل مع الإعجاز العلمي الذي نعتقد بوجوده فعلاً في بعض الآيات الكريمة والروايات الشريفة عن الرسول وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم.

كما فهمنا من تعريف الإعجاز العلمي كما أوردناه سابقاً وهو: "إخبار القرآن الكريم أو النبي أو أهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) تصريحاً أو تلميحاً بحقيقة علمية لا تناسب إمكانيات ومعارف عصر نزول النص أو صدوره."

وقلنا إن هذا لا يتنافى مع كون القرآن الكريم كتاب هداية، وإن الروايات هي للهداية أيضاً، وقلنا إنه لا يمكن القبول بمقولة "وأنتم أعلم بدنياكم" فوظيفة الإصلاح والهداية لا يمكن الفصل بين جانبها الدنيوي وجانبها الأُخروي.

لذا وصلنا لنتيجة مفادها وجود الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي روايات أهل البيت عليهم السلام، ولسنا هنا بمقام ضرب الأمثلة على ذلك وسوق أدلة الإثبات لأنه سيطول بنا المقام في الأول ولأنه فيما تم عرضه الكفاية في الثاني.

ولكي نوضح وجهة نظرنا تجاه الموضوع لا بد من بحث الجوانب التالية:

أ- ما هي الثوابت العلمية التي يتم المقارنة معها؟ وكيف يتم ذلك؟

ب- كيف تتم قراءة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؟

ج- كيف تتم قراءة الإعجاز العلمي في روايات أهل البيت عليهم السلام؟

د- هل الأمر منحصر بإثبات صدقية القرآن الكريم والروايات وبالتالي صدقية الرسول صلى الله عليه وآله ورسالته بانتظار ظهور ثابت علمي ومقارنته بها أم يمكن التقدم لأبعد من ذلك عبر جعله مورداً للكشوفات العلمية أو لتصحيح النظريات والآراء العلمية محل الجدل؟

الإجابات:

أ- ما هي الثوابت العلمية التي يتم المقارنة معها؟ وكيف يتم ذلك؟

في العلم تظهر الآراء العلمية بصيغ مختلفة مرة بصيغة مثبتة تجريبياً ومرة بصيغة آراء ونظريات وأفكار وتخمينات واقتراحات، فما عدا ما تم إثباته تجريبياً-ولا نقصد إن العلم منحصر بالعلم التجريبي- لا يمكن مقارنة أي رأي أو نظرية أو فكرة أو تخمين أو اقتراح مع الآيات والروايات والتعامل معه على إنه مسلم علمي إلا إذا كان الهدف من المقارنة محاولة الوصول لرؤية أفضل.

مع ملاحظة ضرورة أن يكون مصدر المعلومة العلمية صحيحاً أي من مصادر علمية موثوقة وأن تكون الإشارة للمصدر واضحة لا لبس فيها، والابتعاد عن لغة نقل عن مصدر أو نقلت الصحيفة الفلانية فلا بد من تتبع المعلومة العلمية من مصدرها الأصلي وعدم الاعتماد على الشهرة الإعلامية فقط مصدراً للتوثيق.

ب- كيف تتم قراءة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؟

بالمقارنة مع الثابت العلمي الذي تحدثنا عنه في الفقرة السابقة، يمكن قراءة بعض الآيات لرؤية مدى انسجامها مع هذا الثابت بشرط:

١-الاعتماد على ظاهر التفسير أو ما يختلف عن الظاهر إذا ورد بنص روائي وعدم الاستغراق في التأويلات.

٢-عدم التكلف في التفسير ومحاولة تطويع تفسير النص لينسجم كرهاً مع الثابت العلمي، وهذا يشمل كل الأدوات المستخدمة في التفسير كعلوم اللغة وغيرها.

ج- كيف تتم قراءة الإعجاز العلمي في روايات أهل البيت عليهم السلام؟

بالمقارنة مع الثابت العلمي الذي تحدثنا عنه في الفقرة ما قبل السابقة، يمكن قراءة بعض الروايات لرؤية مدى انسجامها مع هذا الثابت بشرط:

١-تقييم سند الرواية بدقة.

٢-تقييم متن الرواية بدقة ومقارنته بغيره، لتحديد مساحته بدقة، مثلاً قد ترد عبارة "كذا نبات فيه شفاء" قد نفهم منه إنه فيه شفاء دائماً بغض النظر عما يؤكل معه وبغض النظر عن وضع الشخص وظروفه وهذا خطأ، وقد نفهم منه إن استخدامه ضمن شروط معينة يؤدي للشفاء وهو صحيح، وقد نفهم منه-كما سيأتي- إنه يمكن استخلاص مركبات منه تكون شفاء وهو الأصح ولا ينفي ما قبله.

٣-عدم التكلف في فهم الرواية.

٤-رفض الرواية اذا ما خالفت بوضوح ثابت علمي-حتى مع صحة سندها على رأي بعض العلماء كالسيد هبة الدين الشهرستاني الذي ناقش هذه المسألة قبل ما يقرب من مائة عام!

د-هل الأمر منحصر بإثبات صدقية القرآن الكريم والروايات وبالتالي صدقية الرسول صلى الله عليه وآله ورسالته بانتظار ظهور ثابت علمي ومقارنته بها أم يمكن التقدم لأبعد من ذلك عبر جعله مورداً للكشوفات العلمية أو لتصحيح النظريات والآراء العلمية محل الجدل؟

هذا السؤال مهم جداً فإن انتظار ظهور رأي أو ثابت علمي ثم البحث عن وجوده قرآنياً أو روائياً يشكل نقطة ضعف من ناحيتين :

الناحية الأولى: إنه سيكون-وقد كان فعلاً- مورد إشكال على المسلمين بأنه أين كنتم عن هذا الرأي العلمي ولماذا لم تكتشفوه قبل من أكتشفه فعلاً إذا ما كان موجود في قرآنكم أو رواياتكم قبل أكثر من ١٤٠٠ عام!

الناحية الثانية: إنه إذا صدق وجود الإعجاز العلمي فإن عدم البحث في القرآن الكريم والروايات لاكتشاف بعض الآراء العلمية وسبق الآخرين يُعد خسارة كبيرة.

لذا برأيي إنه من الممكن التقدم خطوة للإمام في التعامل مع القضايا العلمية في الآيات والروايات، مع ملاحظة واقتراح ما يلي:

١-إن بعض الآراء العلمية الواردة يراد منها الإعجاز وليس توفير المعلومة لذا قد يكون من الصعب اكتشاف وجودها في القرآن الكريم والروايات عبر البحث فيها قبل اكتشافها في الواقع العلمي مسبقاً.

٢-إن أدوات الاكتشاف العلمي ليست كلها متوفرة لمن يرى إمكانية البحث علمياً في القرآن الكريم والروايات.

٣-إن الاكتشافات العلمية إن كانت جهداً بشرياً وقد لا يتصور البعض أن يكون من ضمن مهام الجهات والمصادر الدينية المساعدة فيها إلا من باب الحث إلا أنه في تراثنا الروائي ما يؤيد ذلك ومنه على سبيل المثال كلام الإمام الصادق عليه السلام مع الطبيب الهندي، وجهوده سلام الله عليه في مجال علم الكيمياء والفيزياء.

٤-بعض الاكتشافات العلمية الممكنة من ناحية الانتباه لها وتوفر الظروف بيد من يعتبر إمكانية توفر المعلومة العلمية في الآيات والروايات، أقول بعضها يمكن الوصول لها وبذلك نكون قد قدمنا عدة خدمات منها، تقديم الخدمة العلمية عبر هذا الاكتشاف للمجتمع، دعم مصداقية الآيات والروايات بشكل أقوى بكثير من المقارنة واكتشاف مواطن الإعجاز العلمي قبل الآخرين.

تطبيقات محتملة للنقطة الأخيرة:

١-الطب:

في مجال الطب يمكن الاعتماد على المرويات في هذا المجال عبر تحليلها علمياً وفقاً لما ذكرنا سابقاً، كمثال على ذلك استخلاص مادة (الانثوسيانين) من قشرة الزبيب الأسود والتي اثبت تأثيرها العلاجي على أمراض القلب وارتفاع ضغط الدم الشرياني من قبل

الدكتور العراقي نجم عباس العوادي في فرنسا بالاستفادة من روايات أهل البيت عليهم السلام وفقاً لحوار شخصي لي معه.

ما نريد قوله إن الرأي بأن المادة الفلانية تعالج كذا يمكن أن يكون حافز للبحث عن تركيب هذه المادة ومعرفة المادة المؤثرة في المرض الفلاني واستخلاصها منها، كما تم التعامل مع العديد من المعلومات الشعبية وفق هذا الأساس وتم اكتشاف فائدة بعضها فعلاً.

٢-الفيزياء النظرية:

بما أن مجال الفيزياء النظرية هو مجال خصب للاقتراحات والتخمينات والافتراضات فما المانع من الرجوع لبعض النصوص الدينية للخروج برؤية ومحاولة اختبارها علمياً فلعلها-إن احسنا استخدامها- تختصر لنا الكثير من الوقت والجهد ولنعتبرها كأي افتراض في هذه الساحة التي صارت تقبل حتى الافتراضات التي تبدو مجنونة للوهلة الأولى.

للتواصل مع المؤلف

الفيس بوك:(حساب شخصي):

رشيد السراي

الفيس بوك (صفحة عامة):

رشيد حميد السراي

البريد الإلكتروني:

rasheedasarai@yahoo.com

rasheedasarai@gmail.com